المحاضرة الرابعة:

حركة عبد الله بن الزبير

تعتبر حركة ابن الزبير امتدادا لخروج اهل المدينة وقد استغل ابن الزبير حادثة كربلاء وخروج اهل المدينة والفراغ السياسي والقيادي الذي حصل بعد وفاة معاوية والنقمة الشديدة على يزيد في العالم الإسلامي ليقود حركة مسلحة ضد بني امية منطلقا من مكة ليعيد الخلافة الى منبتها الأول في الحجاز.

ودعا اعيان اهل تهامة والحجاز الى بيعته فبايعوه جميعا باستثناء عبد الله ابن عباس ومحمد بن الحنفية ثم طرد عمال يزيد من مكة والمدينة

حاول يزيد في غمرة هذه الاحداث التفاهم مع ابن الزبير فعرض عليه (ولاية الحجاز وما شاء وما احب لاهل بيته من الولاية على ان يبايعه بالخلافة لكن ابن الزبير رفض العرض. عندئذ اصدر يزيد امرا الى مسلم بن عقبة بالتوجه الى مكة للقضاء على حركته وفعلا توجه هذا القائد الى مكة وما كاد يصل الى المشلل حتى مرض وتوفي بعد ان عهد الى الحصين بن نمير بقيادة الجيش.

استأنف الحصين الزحف نحو مكة فوصلها في (السادس والعشرين من شهر محرم عام ٦٤هـ / شهر اب عام ٦٨٣م) وضرب عليها حصارا مركزا بعد ان سيطر على جميع التلال والجبال المحيطة بها ثم اخذ يضربها بالمنجنيق وتولى الدفاع عن البيت الحرام جماعة من الخوارج النجدية.

كانت المقاومة عنيفة بفعل خضوع المكيين لقائد واحد هو عبد الله بن الزبير وانضمام خصوم الدولة الاموية اليه كالخوارج فضلا عن الزعيم الشيعي المختار بن ابي عبيد الثقفي. وبينما رحى الحرب دائرة اتى خبر وفاة يزيد فتوقف القتال وادرك الحصين ان ورقة ابن الزبير ستكون الرابحة بعد غموض الموقف في دمشق فرأى ان يأخذ البيعة له شرط ان ينتقل معه الى دمشق فقابله وعرض عليه البيعة على شرطه. رفض ابن الزبير هذا العرض مفوتا فرصة ذهبية وذهل الحصين من موقفه هذا وأشار بشي من السخرية متهما إياه بقصر النظر السياسي.

ويبدو ان ابن الزبير ادرك ان اهل الشام مخلصون لبني امية كما ان الحصين ليس بالقادر على التكلم بلسانهم جميعا ولذا لم يكن بوسعه الاطمئنان الى وعوده يضاف الى ذلك انه كان يرى في اهل الحجاز أنصاره واعوانه لذلك كان رفضه عن اقتناع منه حتى لا يصيبه ما أصاب الحسين عليه السلام من قبل ثم حدث بعد ذلك ان رفع الحصين الحصار عن مكة وعاد الى دمشق.

الواقع ان ابن الزبير كان المستفيد الأول من موت يزيد وارتباك الاسرة الاموية في معالجة النتائج السلبية التي انعكست عليها.